تهدى ولا تباع

الوصايا السبع

لأهل ليبيا

إعداد

أ.د/ محمد بن عمر بن سالم بازمول

عضو هيئة التدريس بجامعة أم القرى

كلمة ألقاها فضيلة الشيخ بمسجد شهداء بدر

(طرابلس - ليبيا)

في الخامس عشر من شهر محرم لسنة ١٤٣٣هـ

طبع على نفقة أهل البر والإحسان

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبدُه ورسولُه ﷺ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

أما بعد: فإن أصدق الكلام كلام الله، وخير الهدي هدي محمد، وشرَّ الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أما بعد: فهذه وصايا للإخوة في ليبيا -سلمهم الله- بعد انتهائهم من إزالة حكم الطاغية الذي كان يحكم ليبيا، ألقيتها من مكة المكرمة عبر الهاتف في مساء السبت (١٥ من شهر محرم ١٤٣٣هـ).

وقد أدرت هذه الكلمة على سبع وصايا:

الوصية الأولى: الأمر بلزوم السنة والتمسك بها.

والوصية الثانية: الأمر بلزوم جماعة المسلمين والسمع والطاعة لولي الأمر.

والوصية الثالثة: الأمر بحسن التعامل مع الإخوان وإصلاح ذات البين.

والوصية الرابعة: الأمر بحفظ الدماء وعدم الاستهانة بها.

والوصية الخامسة: تسليم السلاح.

والوصية السادسة: البعد عن الحزبيات والجماعات.

والوصية السابعة: الإقبال على الآخرة، وأخذ العبرة مما حصل مع عدم نسيان أمر الدنيا.

فأقول مستعينًا بالله:

أما وصيتي الأولى لكم -أيها الإخوة- في ليبيا فهي:

أن تلتزموا بسنة رسول الله ﷺ، وأن تحرصوا عليها، وأن تعملوا بها في كل شأنكم، فإن الرسول ﷺ بين في أحاديث كثيرة أهمية ذلك بالنسبة للمسلم، من ذلك أنه ﷺ قال: **«عليكم بسنتي وسنة الخُلفاء الراشدين المَهديين من بعدي»**. عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«إني قد تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما: كتاب الله وسنتي، ولن يتفرقا حتى يردا عليَّ الحوض»**. وعن ابن عباس ﷺ: «أن رسول الله ﷺ خطب الناس في حجة الوداع فقال: **يا أيها الناس؛ إني قد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبدًا: كتاب الله، وسنة نبيه»**. وعن كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف، عن أبيه، عن جده قال: قال رسول الله ﷺ: **«تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما: كتاب الله، وسنة نبيه ﷺ»**.

والكتاب والسنة قد هُدي من تمسك بهما، والصحابة كانوا أعرف الخلق بهما، فمن تبع الكتاب والسنة على فهم السلف الصالح سلم!

قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «كان أئمة المسلمين مثل مالك وحماد بن زيد والثوري ونحوهم إنما تكلموا بما جاءت به الرسالة وفيه الهدى والشفاء، فمن لم يكن له علم بطريق المسلمين يعتاض عنه بما عند هؤلاء، وهذا سبب ظهور البدع في كل أمة، وهو خفاء سنن المرسلين فيهم، وبذلك يقع الهلاك، ولهذا كانوا يقولون: الاعتصام بالسنة نجاة.

قال مالك رَحِمَهُ اللَّهُ: «السنة مثل سفينة نوح من ركبها نجا، ومن تخلَّف عنها هلك».

وهذا حق؛ فإن سفينة نوح إنما ركبها من صدق المرسلين واتبعهم، وأن من لم يركبها فقد كذَّب المرسلين، واتباع السنة هو اتباع الرسالة التي جاءت من عند الله؛ فتابعها بمنزلة من ركب مع نوح السفينة باطنًا وظاهرًا، والمتخلف عن اتباع الرسالة بمنزلة المتخلف عن اتباع نوح عليه السلام وركوب السفينة معه، وهكذا إذا تدبر المؤمن سائر مقالات الفلاسفة وغيرهم من الأمم التي فيها ضلال وكفر وَجَدَ القرآنَ والسنة كاشفين لأحوالهم، مبينين لحقهم، مميزين بين حق ذلك وباطله، والصحابة كانوا أعلم الخلق بذلك، كما كانوا أقوم الخلق بجهاد الكفار والمنافقين، كما قال فيهم عبد الله بن مسعود: «من كان منكم مُستنًّا فليستن بمن قد مات؛ فإن الحي لا تُؤمن عليه الفتنة، أولئك أصحاب محمد كانوا أبر هذه الأمة قلوبًا، وأعمقها علمًا، وأقلها تكلفًا، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه وإقامة دينه، فاعرفوا لهم حقهم، وتمسكوا بهديهم فإنهم كانوا على الهدى المستقيم»...». اهـ

أما وصيتي الثانية:

فهي وصيتي لكم بلزوم السمع والطاعة ولزوم جماعة المسلمين؛ فها أنتم اليوم قد استقرت أوضاعكم -والحمد لله-، علىٰ ولاة أمر لكم ليسوا مثل ذاك الطاغية -إن شاء الله-.

هؤلاء لا نقول: لا يقع منهم الخطأ، إنما نقول: هم من البشر من بني آدم.

عن عَلِي بن مَسعَدَةَ البَاهِلِيِّ عن قَتَادَةَ عَن أَنَسٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**كُلُّ ابنِ آدَمَ خَطَّاءٌ وَخَيرُ الخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ**». فنحن ننظر لولاة الأمر علىٰ هذا الأساس.

ونقول: يلزم المسلم أن يسمع ويطيع لولاة أمره، وأن يعينهم علىٰ ما هم فيه، وأن يأخذ بأيديهم إلىٰ الخير، ولا ينبغي له أن يأخذ طريقًا فيه انشقاق عن الجماعة، أو فيه خروج عن السمع والطاعة.

عَن نَافِعٍ قَالَ: «جَاءَ عَبدُ اللهِ بنُ عُمَرَ إِلَىٰ عَبدِ اللهِ بنِ مُطِيعٍ حِينَ كَانَ مِن أَمرِ الحَرَّةِ مَا كَانَ زَمَنَ يَزِيدَ بنِ مُعَاوِيَةَ فَقَالَ: اطرَحُوا لِأَبِي عَبدِ الرَّحمَنِ وِسَادَةً! فَقَالَ: إِنِّي لَم آتِكَ لِأَجلِسَ أَتَيتُكَ لِأُحَدِّثَكَ حَدِيثًا سَمِعتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُهُ، سَمِعتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: **مَن خَلَعَ يَدًا مِن طَاعَةٍ لَقِيَ اللهَ يَومَ القِيَامَةِ لَا حُجَّةَ لَهُ، وَمَن مَاتَ وَلَيسَ فِي عُنُقِهِ بَيعَةٌ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً**».

والرسول ﷺ أرشد الأُمَّة إلىٰ لزوم السمع والطاعة، عَن العِربَاضِ بنِ سَارِيَةَ قَالَ: «وَعَظَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ يَومًا بَعدَ صَلَاةِ الغَدَاةِ مَوعِظَةً بَلِيغَةً ذَرَفَت مِنهَا العُيُونُ، وَوَجِلَت مِنهَا القُلُوبُ، فَقَالَ رَجُلٌ: إِنَّ هَذِهِ مَوعِظَةُ مُوَدِّعٍ فَمَاذَا تَعهَدُ إِلَينَا يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: **أُوصِيكُم بِتَقوَىٰ اللهِ وَالسَّمعِ وَالطَّاعَةِ وَإِن عَبدٌ حَبَشِيٌّ؛ فَإِنَّهُ مَن يَعِش مِنكُم يَرَىٰ اختِلَافًا كَثِيرًا. وَإِيَّاكُم وَمُحدَثَاتِ الأُمُورِ فَإِنَّهَا ضَلَالَةٌ؛ فَمَن أَدرَكَ ذَلِكَ مِنكُم فَعَلَيهِ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ المَهدِيِّينَ عَضُّوا عَلَيهَا بِالنَّوَاجِذِ**».

فيلزم المسلم أن يسمع وأن يطيع ولاة أمره، وأن يكون عنده الصبر عليهم مع إبداء النصيحة

والتعاون معهم في المعروف، من باب قوله تعالىٰ: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [المائدة:٢]. وبعض الناس ينظر إلىٰ ولاة الأمر كأنهم ملائكة لا يخطئون، وكأنهم ذَهَبٌ صافٍ، وهذا أمر غير ممكن! فإن ولي الأمر اليوم في الغالب حتىٰ لو كان مريدًا للخير قد لا تسعفه الظروف التي تحيط به؛ فيحتاج من أمته ومن شعبه ومن الذين يوالونه؛ يحتاج منهم إلىٰ إحسان الظَّن والصبر وعدم العجلة، والتعاون علىٰ المعروف والأخذ بيده -إن شاء الله- في باب النصيحة، في بناء هذه الأمة، فإن أعداء الأمة يحيطون بها من كل جانب.

أما وصيتي الثالثة:

فإني أوصيكم بحسن التعامل مع إخوانكم وإصلاح ذات البين، قال تعالىٰ: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ﴾ [الأنفال:١]. وحذر ﷺ من فساد ذات البين.

عَن أُمِّ الدَّردَاءِ، عَن أَبِي الدَّردَاءِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَلَا أُخبِرُكُم بِأَفضَلَ مِن دَرَجَةِ الصِّيَامِ وَالصَّلَاةِ وَالصَّدَقَةِ؟ قَالُوا: بَلَىٰ، يَا رَسُولَ اللهِ. قَالَ: إِصلَاحُ ذَاتِ البَينِ، وَفَسَادُ ذَاتِ البَينِ الحَالِقَةُ**».

عَنِ الزُّهرِيِّ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَنَسُ بنُ مَالِكٍ ﷺ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**لَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخوَانًا، وَلَا يَحِلُّ لِمُسلِمٍ أَن يَهجُرَ أَخَاهُ فَوقَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ**».

عَن أَبِي هُرَيرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَنَاجَشُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَلَا يَبِع بَعضُكُم عَلَىٰ بَيعِ بَعضٍ، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخوَانًا، المُسلِمُ أَخُو المُسلِمِ، لَا يَظلِمُهُ وَلَا يَخذُلُهُ وَلَا يَحقِرُهُ، التَّقوَىٰ هَاهُنَا -وَيُشِيرُ إِلَىٰ صَدرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ- بِحَسبِ امرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَن يَحقِرَ أَخَاهُ المُسلِمَ، كُلُّ المُسلِمِ عَلَىٰ المُسلِمِ حَرَامٌ، دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعِرضُهُ**».

أذكركم بهذه الأحاديث لأنكم في بداية مجتمع -إن شاء الله- تستطيعون فيه إظهار دينكم، وعدوكم من شياطين الجن والإنس يسعىٰ إلىٰ إفساد ذات البين، بدعاوىٰ باطلة، وأنتم تعلمون أن من إخوانكم من كان قد حبس نفسه في بيته ولم يشارك في قتال الطاغية، خشية

أن يتلبس بدماء المسلمين، وهي دماء محرمة، فترك المشاركة لا من باب أن هذا الطاغية تجب طاعته، ولكن من باب أنه يُخشىٰ أن تتحمل ذمته من هذه الدماء، فلا ينبغي اليوم أن يساء الظن بهؤلاء، ولا ينبغي أن تفسر مواقفهم تلك بغير ما هي عليه حقيقة، وأحسنوا الظن بهم، واحملوا موقفهم علىٰ أحسن المحامل، واقبلوا ما يظهرونه لكم -إن شاء الله- علىٰ خير، وأنتم تتعاملون بالظاهر والله يتولىٰ السرائر، فلا محل للتباغض، والتدابر، والتشاحن، والحقد، والتقاطع، والرسول ﷺ أول ما دخل المدينة ماذا قال للناس؟

عَنْ عَبدِ اللهِ بنِ سَلَام، قَالَ: «لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ المَدِينَةَ انجَفَلَ النَّاسُ إِلَيهِ، وَقِيلَ: قَدِمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَجِئتُ فِي النَّاسِ لِأَنظُرَ إِلَيهِ، فَلَمَّا استَبَنتُ وَجهَ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَرَفتُ أَنَّ وَجهَهُ لَيسَ بِوَجهِ كَذَّابٍ وَكَانَ أَوَّلُ شَيءٍ تَكَلَّمَ بِهِ أَن قَالَ: **يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَفشُوا السَّلَامَ، وَأَطعِمُوا الطَّعَامَ، وَصَلُّوا وَالنَّاسُ نِيَامٌ تَدخُلُونَ الجَنَّةَ بِسَلَام**».

عَن أَبِي صَالِح، عَن أَبِي هُرَيرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَا تَدخُلُونَ الجَنَّةَ حَتَّىٰ تُؤمِنُوا، وَلَا تُؤمِنُوا حَتَّىٰ تَحَابُّوا، أَوَلَا أَدُلُّكُم عَلَىٰ شَيءٍ إِذَا فَعَلتُمُوهُ تَحَابَبتُم؟ أَفشُوا السَّلَامَ بَينَكُم**».

فذكر محبة المسلم لأخيه المسلم، وأنها هي سبب دخول الجنة.

وأرشد إلىٰ ما يحقق هذه المحبة من إفشاء السلام وإطعام الطعام.

فأنا أوصيكم بأن تحسنوا التعامل مع بعضكم بعضًا وتصلحوا ذات بينكم، قال الله -تبارك وتعالىٰ-: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الحجرات: ١٠].

أمَّا وصيتي الرابعة لكم:

فهي أن تحفظوا دماءكم، فإن الشرع أمر بحفظ الدماء، قال ﷺ: «**كُلُّ المُسلِمِ عَلَىٰ المُسلِمِ حَرَامٌ، دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعِرضُه**».

عَنِ ابنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَن يَزَالَ المُؤمِنُ فِي فُسحَةٍ مِن دِينِهِ، مَا لَم يُصِب دَمًا حَرَامًا**».

عَن عَبدِ اللهِ بنِ عَمرٍو، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**لَزَوَالُ الدُّنيَا أَهوَنُ عَلَىٰ اللهِ مِن قَتلِ رَجُلٍ مُسلِمٍ**».

عَن نَافِعٍ عَن ابنِ عُمَرَ قَالَ: صَعِدَ رَسُولُ اللهِ ﷺ المِنبَرَ فَنَادَىٰ بِصَوتٍ رَفِيعٍ، فَقَالَ: «**يَا مَعشَرَ**

مَن أَسلَمَ بِلِسَانِهِ وَلَم يُفضِ الإِيمَانُ إِلَىٰ قَلبِهِ: لَا تُؤذُوا المُسلِمِينَ. وَلَا تُعَيِّرُوهُم. وَلَا تَتَّبِعُوا عَورَاتِهِم؛ فَإِنَّهُ مَن تَتَبَّعَ عَورَةَ أَخِيهِ المُسلِمِ تَتَبَّعَ اللهُ عَورَتَهُ. وَمَن تَتَبَّعَ اللهُ عَورَتَهُ يَفضَحهُ وَلَو فِي جَوفِ رَحلِهِ.

قَالَ: وَنَظَرَ ابنُ عُمَرَ يَومًا إِلَىٰ البَيتِ أَو إِلَىٰ الكَعبَةِ فَقَالَ: مَا أَعظَمَكِ وَأَعظَمَ حُرمَتَكِ، وَالمُؤمِنُ أَعظَمُ حُرمَةً عِندَ اللهِ مِنكِ».

أقول: فإذا كانت دماء المؤمنين أشد حرمة عند الله من الكعبة فما بالك من يرىٰ الحال حال فتنة، ويرىٰ أن المشاركة فيها تؤدىٰ إلىٰ أراقة الدماء بغير حق؟! فإن الناس يختلفون في مقدار اتضاح الأمر لهم، فكيف تستباح مثل هذه الدماء.

والآن -الحمد لله- بعد زوال حكم الطاغية، لابد أن تحفظوا السلام ولابد أن تحقنوا الدماء.

أمَّا وصيتي الخامسة:

فهي ألَّا ترفعوا السلاح علىٰ بعضكم بعضًا، فكم من الدماء تراق بسبب حمل السلاح!

ولا تستمعوا إلىٰ من يقول لكم: لا تسلموا السلاح حتىٰ يسلم غيركم السلاح؛ فإن هؤلاء أهل فتنة، أهل شر، لا يعرفون حرمة هذه الدماء، ما الذي نستفيده إذا حملنا السلاح علىٰ بعضنا بعضًا، وقد انتهت الأمور علىٰ خير!

أتدري أنك إذا حملت السلاح ومشيت به وأردت أن تجبر ولي الأمر أو من ينوبه علىٰ شيء بهذا السلاح، واستجاب لك المسئول، فإنه سيأتي من لا يرضىٰ ما تفعله فيحمل عليك السلاح فتدور الدائرة هكذا، أنت تحمل السلاح، وغيرك يحمل السلاح، وكل واحد يريد أن يحقق ما يراه بقوة السلاح، فتكون سببًا في حدوث فتنة وفي إراقة الدماء المحرمة وهذا مما ينبغي للمسلم أن يبتعد عنه.

أنتم اليوم -ولله الحمد والمنة- بين يدي ولاة أمر يقيمون -إن شاء الله- الدين، ويقيمون الشرع، قد يحصل منهم قصور، وقد تحصل بعض المخالفات، وقد يحصل خطأ ومعاصٍ، لكن هذا لا يسوغ للمسلم أن يرفع السلاح، وأن يطلب تحقيق ما يريد بالسلاح، والواجب الصبر، والنصيحة والتعاون علىٰ المعروف وعلىٰ البر وعلىٰ التقوىٰ، وعلىٰ كل مسلم أن

يسعىٰ إلىٰ درء أسباب الفساد، ودفع أسباب البغضاء.

والمناصحة لولي الأمر تكون بالوجه الشرعي كما جاء في الحديث.

عن عياض بن غنم قال لهشام بن حكيم: ألم تسمع يا هشام رسول الله ﷺ؛ إذ يقول: «من كانت عنده نصيحة لذي سلطان فليأخذ بيده، فليخلُ به؛ فإن قبلها قبلها، وإن ردها كان قد أدىٰ الذي عليه».

أما وصيتي السادسة لكم:

فهي أن تبتعدوا عن الحزبيات والجماعات.

أنتم الآن مجتمع جديد، وأمة قليلة العدد، يعنىٰ تعدادكم ما بين سبعة ملايين وعشرة ملايين نسمة.

والعين عليكم: أهل الحزبيات وأصحاب الجماعات وذوي الأغراض السيئة، كل هؤلاء عيونهم عليكم، وعلىٰ بلادكم الغنية، ورجالكم لا نزكيهم علىٰ الله، فإنه يطمع فيكم كل صاحب حركة وصاحب توجه؛ فاحذروا هذه الحزبيات والجماعات.

عن بُسر بن عُبَيدِ اللهِ الحَضرَمِيِّ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو إِدرِيسَ الخَولَانِيُّ: أَنَّهُ سَمِعَ حُذَيفَةَ بنَ اليَمَانِ يَقُولُ: «كَانَ النَّاسُ يَسأَلُونَ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَنِ الخَيرِ، وَكُنتُ أَسأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ مَخَافَةَ أَن يُدرِكَنِي، فَقُلتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّا كُنَّا فِي جَاهِلِيَّةٍ وَشَرٍّ فَجَاءَنَا اللهُ بِهَذَا الخَيرِ، فَهَل بَعدَ هَذَا الخَيرِ مِن شَرٍّ؟ قَالَ: نَعَم. قُلتُ: وَهَل بَعدَ ذَلِكَ الشَّرِّ مِن خَيرٍ؟ قَالَ: نَعَم وَفِيهِ دَخَنٌ. قُلتُ: وَمَا دَخَنُهُ؟ قَالَ: قَومٌ يَهدُونَ بِغَيرِ هَدِيِي، تَعرِفُ مِنهُم وَتُنكِرُ. قُلتُ: فَهَل بَعدَ ذَلِكَ الخَيرِ مِن شَرٍّ؟ قَالَ: نَعَم دُعَاةٌ إِلَىٰ أَبوَابِ جَهَنَّمَ مَن أَجَابَهُم إِلَيهَا قَذَفُوهُ فِيهَا. قُلتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، صِفهُم لَنَا؟ فَقَالَ: هُم مِن جِلدَتِنَا وَيَتَكَلَّمُونَ بِأَلسِنَتِنَا. قُلتُ: فَمَا تَأمُرُنِي إِن أَدرَكَنِي ذَلِكَ؟ قَالَ: تَلزَمُ جَمَاعَةَ المُسلِمِينَ وَإِمَامَهُم. قُلتُ: فَإِن لَم يَكُن لَهُم جَمَاعَةٌ وَلَا إِمَامٌ؟ قَالَ: فَاعتَزِل تِلكَ الفِرَقَ كُلَّهَا، وَلَو أَن تَعَضَّ بِأَصلِ شَجَرَةٍ حَتَّىٰ يُدرِكَكَ المَوتُ وَأَنتَ عَلَىٰ ذَلِكَ».

في هذا الحديث يبين الرسول ﷺ أن الأصل أن يلزم المسلم جماعة المسلمين وإمامهم، وأنتم الآن لديكم جماعة مسلمة، ولديكم إمام، فالزموا جماعتكم والزموا إمامكم، وإياكم أن تحدثوا من الأمور ما يُفسد الملازمة للجماعة.

إياكم أن تحدثوا ما يُخرجكم عن السمع والطاعة لولاة أمركم.

إن السلامة في وصية الرسول ﷺ لحذيفة.

«قُلتُ: فَمَا تَأمُرُنِي إن أدرَكَنِي ذَلِكَ؟ قَالَ: تَلزَمُ جَمَاعَةَ المُسلِمِينَ وَإِمَامَهُم. قُلتُ: فَإن لَم يَكُن لَهُم جَمَاعَةٌ وَلَا إِمَامٌ؟ قَالَ: فَاعتَزِل تِلكَ الفِرَقَ كُلَّهَا وَلَو أَن تَعَضَّ بِأَصلِ شَجَرَةٍ حَتَّىٰ يُدرِكَكَ المَوتُ وَأَنتَ عَلَىٰ ذَلِكَ».

فأنا أوصيكم بوصية رسول الله ﷺ:

* الزموا جماعة المسلمين وأمامهم.

* واعتزلوا الفرق، والفرقة وأسبابها.

* واجتنبو الحزبيات.

* واحذروا الجماعات التي تسمىٰ بالجماعات الإسلامية، فإنكم أمة مسلمة أنتم جماعة مسلمة أمتكم ومجتمعكم هذا مع ولي أمركم، جماعة مسلمة فلا تتركوا جماعة المسلمين في بلادكم وفي أرضكم.

* ولا تأتوا بأمور تُخرجكم عن السمع والطاعة لإمامكم.

* واحذروا دعاة الضلالة الذين وصفهم الرسول ﷺ بأنهم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا، فإنكم إن تبعتموهم أدخلوكم جهنم.

أما وصيتي السابعة والأخيرة؛ فهي: أني أذكركم بالآخرة.

هذه الأحداث التي مرَّت بكم في أقل من سنة، هل رأيتم كيف غيَّر الله تعالىٰ الحال من حال إلىٰ حال؟!

﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ [آل عمران:٢٦].

انظروا إلىٰ هذه الدنيا التي كانت عند أولئك هل نفعتهم بشيء؟

هل استفادوا منها شيئًا؟

انظروا ماذا كانوا يملكون؟

انظروا إلىٰ قصورهم؟

أين أموالهم؟

أين ذهبت قوتهم؟

ما صار حال ألقابهم؟

هل خرجوا من هذه الدنيا بشيء؟

لا ينفعك يا ابن آدم إلا عملك الصالح.

عن عَطَاء بن قُرَّةَ، قَالَ: «سَمِعتُ عَبدَ اللهِ بنَ ضَمرَةَ، قَالَ: سَمِعتُ أَبَا هُرَيرَةَ، يَقُولُ: سَمِعتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: **أَلَا إِنَّ الدُّنيَا مَلعُونَةٌ مَلعُونٌ مَا فِيهَا إِلَّا ذِكرُ اللهِ وَمَا وَالَاهُ وَعَالِمٌ أَو مُتَعَلِّمٌ**».

عَن أَبِي سَعِيدٍ الخُدرِيِّ، عَن رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**إِنَّ الدُّنيَا خَضِرَةٌ حُلوَةٌ، وَإِنَّ اللهَ ﷻ مُستَخلِفُكُم فِيهَا، لِيَنظُرَ كَيفَ تَعمَلُونَ، فَاتَّقُوا الدُّنيَا وَاتَّقُوا النِّسَاءَ، فَإِنَّ أَوَّلَ فِتنَةِ بَنِي إِسرَائِيلَ كَانَت فِي النِّسَاءِ**».

فالله الله -أيها المسلم- أن تأخذ العِبرة مما حصل؛ فلا تنس عمل الآخرة.

واعلم أنه إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: «**صدقة جارية، أو ولد صالح يدعو له، أو علم ينتفع به**».

أكثروا من الأعمال الصالحة، وأقبلوا علىٰ طلب العلم، وربوا أبناءكم التربية الصحيحة التي تجعل منهم أولادًا صالحين يدعون لكم وينفعونكم بأعمالهم الصالحة -إن شاء الله-.

هذا ما رأيت أن أتكلم به معكم في هذا اللقاء الذي أسأل الله ﷻ أن يبارك فيه وأن يتقبله خالصًا لوجهه الكريم، وأن يجنبنا وإياكم الفتن ما ظهر منها وما بطن، وأن يحفظنا وإياكم بالإسلام وسنة رسول الله في كل حال.

وأسجل شكري وتقديري للإخوة الذين كانوا سببًا في هذا اللقاء، وللأخ الذي اهتم رعاه الله ووفقه لكل خير هو وإخوانه بتفريغ هذه المحاضرة، فجزاهم الله خيرًا.

وصلِّ اللهم علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.